

تفسير السعدي

@ 428 @ وكذبتهم فيما تدعون . ^ (و) ^ ليس عملكم قاصرا في الدنيا من أجل الآيات
البيانات ، بل ! 2 2 ! من أنواع العقوبات ؟ وكيف أحل ا^ بهم العقوبات ، حين كذبوا
بالآيات البيانات ، وضربنا لكم الأمثال الواضحة التي لا تدع أدنى شك في القلب إلا أزالته ،
فلم تنفع فيكم تلك الآيات ، بل أعرضتم ، ودمتم على باطلكم ، حتى صار ما صار : ووصلتم
إلى هذا اليوم الذي لا ينفع فيه اعتذار من اعتذار بباطل . ! 2 2 ! أي : المكذبون للرسول
^ (مكرهم) ^ الذي وصلت إليه إرادتهم ، وقدروا عليه ، ! 2 2 ! أي : هو محيط به علما
وقدرة ، وقد عاد مكرهم عليهم ^ (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) ^ . ! 2 2 ! أي :
ولقد كان مكر الكفار المكذبين للرسول بالحق ، وبمن جاء به من عظمه لتزول الجبال
الراسيات بسببه ، عن أماكنها ، أي : ! 2 2 ! لا يقدر قدره ولكن ا^ رد كيدهم في نحورهم
 . ويدخل في هذا ، كل من مكر من المخالفين للرسول ، لينصر باطلا ، أو يبطل حقا ، والقصد
أن مكرهم ، لم يغن عنهم شيئا ، ولم يضروا ا^ شيئا ، وإنما ضروا أنفسهم . ^ (فلا تحسبن
ا^ مخلف وعده رسله إن ا^ عزيز ذو انتقام * يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا
ا^ الواحد القهار * وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد * سرابيلهم من قطران وتغشى
وجوههم النار * ليجزى ا^ كل نفس ما كسبت إن ا^ سريع الحساب * ه ذا بلاغ للناس ولينذروا
به وليعلموا أنما هو إل ه واحد وليذكر أولوا الألباب) ^ يقول تعالى : ! 2 2 ! بنجاتهم
 ، ونجاة أتباعهم وسعادتهم ، وإهلاك أعدائهم وخذلانهم في الدنيا ، وعقابهم في الآخرة ،
فهذا لا بد من وقوعه ، لأنه وعد به الصادق قولا ، على السنة أصدق خلقه ، وهم : الرسول ،
وهذا أعلى ما يكون من الأخبار ، خصوصا ، وهو مطابق للحكمة الإلهية ، والسنن الربانية ،
وللعقول الصحيحة ، و ! 2 2 ! لا يعجزه شيء ، فإنه ! 2 2 ! . أي : إذا أراد أن ينتقم
من أحد ، فإنه لا يفوته ولا يعجزه ، وذلك في يوم القيامة ، ! 2 2 ! تبدل غير السموات ،
وهذا التبديل ، تبديل صفات ، لا تبديل ذات ، فإن الأرض يوم القيامة تسوى وتمد كمد الأديم
 ، ويلقى ما على ظهرها من جبل ومعلم ، فتصير قاعا صفصفا ، لا ترى فيها عوجا ولا أمثا ،
وتكون السماء ، كالمهل ، من شدة أهوال ذلك اليوم ، ثم يطويها ا^ تعالى بيمينه . ! 22
! أي : الخلائق من قبورهم إلى يوم بعثهم ، ونشورهم في محل لا يخفى منهم على ا^ شيء ، ! 2
! أي : المتفرد بعظمته وأسمائه وصفاته ، وأفعاله العظيمة ، وقهره لكل العوالم فكلها
تحت تصرفه وتدبيره ، فلا يتحرك منها متحرك ، ولا يسكن ساكن إلا بإذنه . ! 2 2 ! أي :
الذين وصفهم الإجماع ، وكثرة الذنوب ، ! 2 2 ! في ذلك اليوم ! 2 2 ! أي : يسلسل كل

أهل عمل من المجرمين ، بسلاسل من نار ، فيقادون إلى العذاب ، في أدل صورة وأشنعها ،
وأبشعها . ! 2 2 ! أي : ثيابهم ! 2 2 ! وذلك لشدة اشتعال النار فيهم وحرارتها ، و تنتن
ريحها ، ! 2 2 ! التي هي أشرف ما في أبدانهم ! 2 2 ! أي : تحيط بها ، وتصلها من كل
جانب ، وغير الوجوه من باب أولى وأحرى ، وليس هذا ظلما من الله ، وإنما هو جزاء لما
قدموا وكسبوا ، ولهذا قال تعالى : ! 2 2 ! من خير وشر ، بالعدل والقسط ، الذي لا جور
فيه بوجه من الوجوه . ! 2 2 ! كقوله تعالى : ! 2 2 ! ، ويحتمل أن معناه : سريع
المحاسبة ، فيحاسب الخلق في ساعة واحدة ما يرزقهم ويدبرهم بأنواع التدابير ، في لحظة
واحدة ، لا يشغله شأن عن شأن ، وليس ذلك بعسير عليه سبحانه . فلما بين البيان المبين في
هذا القرآن ، قال في مدحه : ! 2 2 ! أي : يتبلغون به ، ويتزودون إلى الوصول إلى أعلى
المقامات وأفضل الكرامات ، لما اشتمل عليه من الأصول والفروع ، وجميع العلوم التي
يحتاجها العباد . ! 2 2 ! لما فيه من الترهيب من أعمال الشر ، وما أعد الله لأهلها من
العقاب ، ! 2 2 ! حيث صرف فيه من الأدلة والبراهين ، على ألوهيته ووحدانيته ، ما صار
ذلك حق اليقين . ^ (وليذكر أولو الألباب) ^ أي : العقول الكاملة ، ما ينفعهم ،
فيفعلونه وما يضرهم ، فيتركونه ، وبذلك صاروا أولي الألباب والبصائر . إذ بالقرآن ،
ازدادت معارفهم وآراؤهم ، وتنورت أفكارهم ، لما أخذوه غضا طريا ، فإنه لا يدعو إلا إلى
أعلى